العلاقات السعودية- الروسية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١

بشار فتحي جاسم العكيدي
مدرس مساعد / مركز الدراسات الإقليمية / جامعة الموصل

مستخلص البحث

أثرت أحداث الحادي عشر من أيلول بشكل سلبي على العلاقة بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية، وخصوصا بعد الاتهامات التي وجهتها الولايات المتحدة للسعودية واتهامها إياها بدعم منفذي عمليات الحادي عشر من أيلول، إضافة إلى كون اغلب منفذي العمليات يحملون الجنسية السعودية. على ضوء ذلك توترت العلاقة بين الولايات المتحدة والسعودية، فبدأت السعودية البحث عن شريك جديد يكون له ثقل سياسي كبير، فوجدت في روسيا ما كانت تبحث عنه. فبدأت العلاقة بين السعودية وروسيا الاتحادية تتطور تدريجيا على الرغم من عدم وجود تبادل وتعاون سياسي بين الطرفين ولفترة طويلة، واخذ شكل هذه العلاقة بالتوسع فشمل مجال التمثيل الدبلوماسي وعقد اتفاقيات اقتصادية ونفطية وفي مجالات مختلفة أخرى، وتوج تقدم العلاقة بين روسيا والسعودية بزيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى السعودية في شباط ٢٠٠٧ وما مثلته هذه الزيارة من تقارب سياسي بين البلدين.

مقدمة

كانت أحداث الحادي عشر من أيلول من القوة والتأثير الكبير على الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث انعكست على علاقاتها الخارجية مع العديد دول العالم والتي بقيت لفترة طويلة صديقة وحليفة لها، إذ أن قوة الحدث لم يعط الولايات المتحدة المجال للتفكير وإصدار الأحكام جزافا بدون التأكد من مدى علاقة بعض الدول بما جرى، والحكم عليها من خلال مواقفها مما جرى، ومن جانب آخر أثرت هذه الأحداث على طريقة تعامل الولايات المتحدة مع دول كانت قريبة منها إلى درجة كبيرة، ومن هذه الدول المملكة العربية السعودية. فالكل يعلم مدى عمق العلاقة التي تربط الولايات

المتحدة الأمريكية بالمملكة العربية السعودية، فهنالك مصالح مشتركة بين الطرفين تمتد إلى عدة عقود، إلا انه بعد ما جرى في ١١ أيلول في الولايات المتحدة الأمريكية توترت العلاقة بين الطرفين بعد اتهام الولايات المتحدة السعودية بدعم ما أسمته بـ "الإرهاب"، والذي أساء إلى العلاقة أيضا أن اغلب منفذي العمليات كانوا يحملون الجنسية السعودية.

المملكة العربية السعودية من جانبها بدأت البحث عن شريك جديد بعد توتر علاقتها بالولايات المتحدة، فوجدت ضالتها في روسيا الاتحادية والتي كانت تبحث عن الفرصة المناسبة لتعزيز وجودها في منطقة الخليج العربي لاسيما بعد فقدانها لأكبر شريك في المنطقة بعد زوال نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين.

البحث والذي يحمل عنوان "العلاقات السعودية- الروسية بعد أحداث ١١ ايلول ٢٠٠١" استعرضنا في المبحث الأول منه مسار وجذور العلاقات السعودية الروسية، وفي المبحث الثاني تناولنا اثر أحداث ١١ أيلول في تقوية العلاقة بين السعودية وروسيا، وفي المبحث الثالث تحدثنا عن انعكاس أحداث ١١ أيلول على تقوية المصالح الاقتصادية والنفطية بين الجانبين.

أولا: الجذور التاريخية للعلاقة بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي

بدءا وعند الحديث عن علاقة المملكة العربية السعودية بالاتحاد السوفيتي السابق (انهار الاتحاد السوفيتي في ٢٦ كانون أول ١٩٩١ وظهرت روسيا الاتحادية كوريث شرعي له)، علينا أن نعود إلى الوراء لنرى كيف ومتى بدأت هذه العلاقة. هنالك مصادر تاريخية ترجع علاقة الاتحاد السوفيتي بمنطقة الخليج العربي تعود إلى أيام الأباطرة الروس وبالتحديد إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين حاول الروس الاندفاع إلى المشرق عموما ومنطقة الخليج العربي بوجه خاص، هذا الاندفاع كان محكوما

بوصية القيصر بطرس الأكبر (١٦٨٢-١٧٢٥) والتي جاء فيها "توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج فتعبروا المياه إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى"[١]. كما أن الاعتراف الروسي بمنطقة الخليج العربي وبوجودها وأهميتها جاء ضمنيا من خلال التوقيع على اتفاقية عام ١٩٠٧ مع بريطانيا، والتي كونت في جزء منها اعترافا صريحا بان منطقة الخليج هي منطقة نفوذ بريطاني بلا منازع، وان للانكليز الأفضلية المطلقة في جنوب إيران وعربستان[٢]. والظاهر إن روسيا وبعد نجاح ثورة أكتوبر ١٩١٧ وخلال المرحلة الأولى من حكم الرئيس السوفيتي جوزيف ستالين (١٩٣٠-١٩٥٣)، قد انصب اهتمامها على تعزيز السلطة في إطار الحزب والدولة، وتأكيد مبدأ الاشتراكية في بلد واحد، وعدم التعرض إلى السيطرة البريطانية المتنفذة في منطقة الخليج العربي[٣].

فيما يخص العلاقة بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي السابق، فأنها بدأت بافتتاح قنصلية سوفيتية في جدة عام ١٩٢٤، وكان الاتحاد السوفيتي الدولة غير العربية الأولى التي اعترفت في ٦ شباط ١٩٢٦ بالمملكة العربية السعودية والتي كانت تسمى (مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها في حينه)، وسلم القنصل السوفيتي آنذاك كريم حكيموف إلى الملك عبدالعزيز آل سعود مذكرة اعتراف بالسلطة الجديدة[٤]. وفي عام ١٩٣٠ تم تحويل القنصلية السوفيتية في جدة إلى سفارة. وفي عام ١٩٣٢ زار نائب الملك الأمير فيصل بن عبدالعزيز الاتحاد السوفيتي، وطلب تقديم مساعدات اقتصادية إلى المملكة، إلا أن الرئيس السوفيتي ستالين لم يلب هذا المطلب وعمد بعد سنوات إلى استدعاء السفير السوفيتي من جدة عام ١٩٣٨[٥]. هذا الاستدعاء أدى إلى قطيعة طويلة بين الجانبين استمرت عقودا طويلة والسبب في ذلك ميل السعودية إلى الولايات المتحدة من جهة ومحاربتها للشيوعية من جهة أخرى.

إلا أن التغييرات التي حصلت في الاتحاد السوفيتي بعد تولي ميخائيل غورباتشوف السلطة في عام ١٩٨٥ ورغبته في إقامة علاقات قوية مع الخليج العربي، قد أدت إلى ميول السياسة السوفيتية الخارجية نحو الخليج العربي ومحاولة غورباتشوف إعادة العلاقة مع المملكة العربية السعودية، كما أن السعودية من جانبها أبدت رغبة في التعاون مع الاتحاد السوفيتي[٦]. وعلى الرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية، قامت وفود رسمية سعودية بزيارة موسكو ابتدأت بزيارة وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل عام ١٩٨٢ ضمن اللجنة السباعية المشكلة من الجامعة العربية لزيارة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن لشرح مبادرة فاس للسلام* في الشرق الأوسط، وأكد الفيصل وجود مشاورات واتصالات ورسائل مع الاتحاد السوفيتي، وزيارة الأمير فيصل بن فهد ا ثناء الدورة الاولمبية التي أقيمت في موسكو ١٩٨٠، وزيارة هشام ناظر وزير النفط السعودي في آذار ١٩٨٧ والذي استقبل استقبالا رسميا، واجتمع بكل من رئيس الوزراء السوفيتي ووزير الخارجية تعد مؤشرا على تحسن العلاقة السعودية السوفيتية، ووصف الكسندر بيلونوغوف ممثل الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة بان زيارة ناظر كانت ناجحة، ومن جهة أخرى سمحت الحكومة السعودية للخطوط الجوية السوفيتية باستخدام أجوائها وهي في طريقها إلى إثيوبيا[٧]. كما استضافت السعودية لقاء تم بين نائب وزير الخارجية السوفيتي والمجاهدين الأفغان في عام ١٩٨٨، كما قام مسئول في وزارة الخارجية السوفيتية بزيارة إلى الرياض في هذه الفترة، وفي ١٧ أيلول ١٩٩٠ تمت إعادة العلاقة الدبلوماسية بين الجانبين[٨].

انهار الاتحاد السوفيتي في ٢٦ كانون أول ١٩٩١، فتولى بوريس يلتسين (١٩٩١-٢٠٠٠) رئاسة روسيا الاتحادية، إلا أن القيادة الجديدة لم تلجأ إلى التنوع في السياسة الخارجية لروسيا تجاه دول الخليج العربي، فبقيت علاقة روسيا مع دول مجلس التعاون الخليجي متدنية خلال السنوات الأولى من

تسعينيات القرن الماضي[٩]. إلا أن التحول الذي حصل في السياسة الخارجية الروسية تمثل في عام ١٩٩٦ عندما تولى يفجيني بريماكوف وزارة الخارجية الروسية، وهو رجل معروف بخبرته بالقضايا العربية وإيمانه الراسخ بأهمية المنطقة العربية بالنسبة لروسيا، وعمل بريماكوف على توسيع علاقة روسيا مع دول الخليج العربي[١٠]. كما أن انتخاب فلاديمير بوتين في آذار ٢٠٠٠ رئيسا لروسيا عمل على إقامة علاقات وروابط قوية مع دول الخليج العربي[١١].

من خلال ما تقدم نجد أن العلاقة التي كانت تربط المملكة العربية السعودية بالاتحاد السوفيتي كانت علاقة سطحية لم ترتق إلى مستوى التمثيل الدبلوماسي في معظم أوقاتها، على الرغم من الثقل الكبير الذي يشكله الاتحاد السوفيتي السابق في الموازين الدولية. ولعل السبب في ذلك يعود إلى الأفكار الشيوعية الماركسية التي ينتهجها السوفيت والتي تتنافى مع الفكر الإسلامي الذي تحمله السعودية، والخوف من الانتقادات التي ستوجه إليها في حال إقامة أي علاقة لها مع السوفيت، والسبب الآخر المهم هو التوجه السعودي نحو الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت ترفض أي وجود سوفيتي في المنطقة.

ثانيا: أثر أحداث ١١ أيلول في العلاقات السعودية- الروسية

إن ما حدث في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية ترك أثرا كبيرا في السياسة الدولية، إذ انعكس هذا الحدث على العلاقات الدولية بشكل مباشر وخصوصا الولايات المتحدة في تعاملها مع الآخرين. إن حجم الحدث الذي تعرضت له الولايات المتحدة قد أخرجها عن نطاق التفكير، فكان رد الفعل قويا من جانبها، حيث أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ما وصفته بـ "الإرهاب" وبدأت بإصدار القرارات والحكم

جزافا بـ "الإرهاب" على كل ما تراه لا ينسجم مع تطلعاتها وأفكارها انطلاقا من المبدأ الذي أعلنه الرئيس الأمريكي جورج بوش (إن من ليس معنا فهو ضدنا). وبدأت الولايات المتحدة تفكر بالانتقام عن طريق استخدام القوة العسكرية والتهديد ضد الدول التي تمثل "بؤرا للإرهاب" وفق المزاعم الأمريكية الدعائية، فغزت أفغانستان والعراق وتلوح ضمنا ومجازا بالتفكير وفق أجندتها ومصالحها الذاتية لغزو إيران وسوريا أو تغيير النظم الحاكمة فيها.

الذي يهمنا في الموضوع هو تأثير ما جرى في الولايات المتحدة على العلاقة بينها وبين المملكة العربية السعودية، إذ اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية السعودية بان لها اليد الكبرى في أحداث أيلول من خلال اتهامها بتمويل هذه العمليات، بالإضافة إلى أن معظم منفذي الهجمات يحملون الجنسية السعودية، مما ولد انطباعا لدى الولايات المتحدة بان السعودية تعمل على تشجيع "الإرهاب" من خلال دعمها لعناصر ذات توجهات إسلامية متطرفة[١٢]. ومما زاد الأوضاع سوءا بين الطرفين مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية السعودية بالمراقبة المالية وتجميد بعض الحسابات، والأرصدة التابعة لمجموعات إسلامية بضمنها بعض الجمعيات الخيرية، فضلا عن رفع قضايا تعويض ضد (٣) أمراء سعوديين و(٨) منظمات خيرية إسلامية و(٧) مصارف دولية بمليارات الدولارات، كما طالبت الولايات المتحدة السعودية بتعديل مناهج التعليم تحت زعم أنها تحض على التطرف والكراهية للغرب، كما طالبت الولايات المتحدة بالمزيد من التعاون السعودي الرسمي وخاصة استخدام قاعدة الخرج** كمركز للتحكم والسيطرة والقيادة للعمليات الحربية ضد أفغانستان، وقد رافق ذلك رفض سعودي رسمي تجاه مسألة الرقابة المالية وتغيير المناهج التعليمية والقضاء، فضلا عن التحرج من قضية التعاون العسكري العلني وكذلك ظهور ردود أفعال شعبية غير مسبوقة في السعودية مناهضة للسياسة

الأمريكية، مما ولد ردود أفعال عنيفة من قبل الإعلام الأمريكي وبعض الساسة الأمريكان، وظهرت كتابات حول طبيعة البنية السعودية التي أصبحت في جوهرها غير ملائمة للإستراتيجية الأمريكية وقضايا حقوق الإنسان والمشاركة السياسية والحريات العامة في المملكة، والاهم من ذلك كله طرح موضوع تقسيم السعودية على لسان كتاب وباحثين أمريكان(١٣).

وهكذا يمكن القول أن إحداث ١١ أيلول كان لها انعكاسها الخطير على العلاقة بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، لأنها كانت السبب المباشر في تصدع العلاقة التي استمرت عقودا طويلة بين الطرفين والتي كانت مبنية على أساس المصالح المشتركة.

ما جرى من تدهور في العلاقة بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية بسبب المعطيات التي ذكرناها، دفع السعوديين إلى البحث عن شريك جديد يكون بحجم الولايات المتحدة، فلم تر بدا من التوجه نحو إقامة علاقات جديدة مع روسيا الاتحادية، كما أن روسيا من جهتها كانت بحاجة إلى تعزيز وتقوية وجودها في منطقة الخليج العربي خصوصا في ظل العزلة التي فرضت على حلفائها السابقين في المنطقة مثل ليبيا وسوريا والعراق في أعقاب الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على ما وصفته بـ "الإرهاب"(١٤).

التوجه السعودي نحو تطوير التعاون مع روسيا بني على أساس توتر علاقتها مع الولايات المتحدة، لان الولايات المتحدة بدأت بعد أحداث ١١ أيلول بالضغط على السعودية من خلال الرقابة السياسية على صادرات النفط السعودي، كما ظهرت دلائل تشير إلى أن قسم من المجتمع السعودي بدأ يعبر عن أسفه لضعف الموقف الروسي في الشرق الأوسط منذ بداية التسعينات، كما أن الرأي العام السعودي أبدى عدم ارتياحه من الوجود العسكري والسياسي الأمريكي في المنطقة(١٥). وبسبب الحاجة الملحة لتقوية علاقة المملكة العربية السعودية مع روسيا، قام وزير الخارجية السعودي

الأمير سعود الفيصل بزيارة عمل إلى موسكو في ١٨ نيسان ٢٠٠٢، وتركزت مباحثاته مع نظيره الروسي أيغور أيفانوف على الوضع في المنطقة وفي العراق وفلسطين وسبل تحقيق مبادرة بيروت-السعودية بشان الشرق الأوسط، والتقى الفيصل خلال زيارته الرئيس الروسي فلاديمير بوتين(١٦). وكرد على الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السعودي، قام مساعد وزير الخارجية الروسي اناتولي سافونوف بزيارة إلى المملكة العربية السعودية بعد شهر من زيارة الأمير سعود الفيصل إلى موسكو، وقد ضم الوفد الروسي ممثلين عن مختلف الوزارات والإدارات الحكومية والهيئات القانونية والمتخصصين في مكافحة ما يسمى "الإرهاب"، وخلال المباحثات التي أجراها الوفد الروسي مع وزير الخارجية السعودي ووزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز ومساعديهما تمت مناقشة العديد من اطر التعاون في مجال "محاربة الإرهاب" ومن بينها الاتفاق على نظام فاعل لمنع وصول الأموال إلى ما أطلقوا عليه بـ "المنظمات الإرهابية"(١٧).

ولتعزيز العلاقات بين الجانبين زار موسكو وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل في ٨ أيار ٢٠٠٣ لغرض التحضير لزيارة ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير عبدالله إلى موسكو، وزار الأمير عبدالله موسكو في ٣ أيلول ٢٠٠٣، واستمرت زيارته ثلاثة أيام، وفتحت هذه الزيارة الباب واسعا أمام الدخول في مرحلة جديدة من التعاون الوثيق بين الجانبين، تلك الزيارة كانت مدفوعة بالاهتمامات المستقبلية للسعودية في أعقاب الاحتلال الأمريكي للعراق، إذ أن الحصول على دعم من بلد بوزن روسيا والتي تحظى باحترام واسع ينطوي على أهمية كبيرة في أطار المساعي الرامية إلى تفادي أي مخاطر مستقبلية مشابهه لتلك التي تعرض لها العراق، وخلال الزيارة تطرق الطرفان للأوضاع في العراق و"عملية السلام" في الشرق الأوسط وموضوع "الإرهاب"، وتم تشكيل لجان مشتركة للتعامل مع القضايا المتعلقة بمكافحة "الإرهاب" وتنسيق جهود البلدين في هذا الجانب.

وفي سعيها نحو تأطير نهجها الجديد، عبرت روسيا عن رغبتها في تقوية علاقاتها مع العالم العربي، وكان ابلغ شاهد على هذا التوجه التصريح الذي أدلى به الرئيس الروسي بوتين في آب ٢٠٠٣، والذي أعلن فيه أن بلاده تفكر في الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي على الرغم من عدم أهلية روسيا لنيل عضوية المنظمة، حيث تنص قوانينها على ضرورة ألا تقل نسبة المسلمين في الدولة التي يحق لها نيل العضوية عن ٢٥% من مجموع السكان، إلا أنها ربما تعتمد في إنجاح مساعيها تلك على علاقتها مع البلدان الخليجية التي بدت وكأنها تؤيد المسعى الروسي، وهو أمر انعكس من خلال البيان الصحفي الصادر من فؤاد الخطيب وزير الإعلام السعودي ونشرته إحدى الصحف اليومية الروسية المح فيه إلى أن السعودية قد تقدم دعما لروسيا في حال تقدمها بطلب رسمي للانضمام لمنظمة المؤتمر الإسلامي[١٨]. واستطاعت روسيا بفضل الدعم السعودي من الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كمراقب في عام ٢٠٠٥[١٩].

ومما لاشك فيه أن روسيا ستستثمر انضمامها إلى المنظمة فيما يتعلق بالمسالة الشيشانية، والتي تشعر روسيا اتجاهها بأنها مستهدفة وفق مزاعمها بـ "حرب إرهابية"، وتعتقد أن التعاون الفعال مع أقطار الخليج العربي وبالأخص المملكة العربية السعودية سيساعد على تكثيف الحوار بين روسيا والأمة الإسلامية، يضاف إليه ما يمكن أن تلعبه السعودية كمصدر الهام لنحو (٢٠) مليون مسلم روسي[٢٠].

تطور العلاقة السعودية الروسية دفعت الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى التفكير في زيارة السعودية. وللتحضير لهذه الزيارة، قام وزير الخارجية الروسي سيرجى لافروف بزيارة الرياض في أيار ٢٠٠٦ للتمهيد لزيارة بوتين، ومن جانبها رحبت المملكة العربية السعودية بزيارة الرئيس الروسي، وللدلالة على بوادر الترحيب المسبقة، أعلن الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية وأمير منطقة عسير في ١٣ كانون

ثاني ٢٠٠٧ إن الهيئة قررت منح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام إلى رئيس تتارستان منتيمير شايميين، كما ذكرت صحيفة عكاظ السعودية التي اعتبرت تتارستان مثالا للتعايش الاجتماعي والسلمي ورمزا للتسامح، وقد تطرق بوتين في مؤتمره الصحفي السنوي في ١ شباط ٢٠٠٧ في موسكو إلى زيارته المتوقعة إلى السعودية وقطر والأردن، وأشار إلى أن الاهتمام الروسي بمنطقة الشرق الأوسط كان دائما كبيرا، وعلاقات روسيا معها تاريخية [٢١].

زار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين المملكة العربية السعودية في ١١ شباط ٢٠٠٧، وكانت هذه الزيارة الأولى لرئيس روسي منذ ٨٠ عاما، وتعهد خلالها بتعزيز علاقات روسيا بالعالم الإسلامي، وترأس كل من الرئيس بوتين والملك عبدالله المحادثات التي جرت بين الجانبين، وأكد الملك عبدالله متانة العلاقة مشيرا إلى أن روسيا كانت أول دولة تعترف بالمملكة العربية السعودية، وأكد بوتين انه صديق للمملكة ولخادم الحرمين، وبحث الجانبان خلال المحادثات التطورات على الساحتين الإقليمية والدولية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والوضع في العراق، إضافة إلى آفاق التعاون بين البلدين[٢٢].

وتأتي خطوة تعزيز العلاقة مع روسيا كجزء من سياسة الانفتاح التي تتبعها المملكة العربية السعودية، حيث تسعى الأخيرة إلى توظيف علاقاتها مع روسيا في خدمة مصالحها الوطنية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وتأمل المملكة في روسيا أن يكون لها حضور قوي وفاعل في هذه القضية، لاسيما وان روسيا هي احد الأطراف الرباعية الدولية الراعية لعملية السلام، ويسري الحال كذلك بالنسبة للقضية العراقية التي بات تأثيرها ينعكس على دول الجوار، وأصبحت المنطقة غير مستقرة نتيجة الاحتلال وفشله في معالجة الأوضاع في العراق معالجة صحيحة[٢٣].

ثالثاً: انعكاس أحداث ١١ أيلول على العلاقات الاقتصادية السعودية- الروسية

لم تنعكس أحداث الحادي عشر من أيلول على تطور العلاقات السياسية بين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية، بل أن الجانب الاقتصادي أيضا تطور بصورة كبيرة وملحوظة، ويمكن اعتبار الزيارة التي قام بها الأمير عبدالله إلى موسكو عام ٢٠٠٣ نقطة تحول في مسار العلاقات الاقتصادية بين الطرفين.

إن توتر العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية فتح المجال أمام روسيا لتعزيز علاقاتها الاقتصادية مع السعودية، إذ تسعى روسيا لتعزيز علاقاتها مع السعودية في محاولة لإنعاش الاقتصاد الروسي من خلال كسب المستثمرين السعوديين الذين يبحثون عن فرص استثمارية في الدول الغربية، ويمكن لروسيا أن تشكل إغراء بالنسبة للمستثمرين السعوديين بسبب عدم الترحيب الذي تشهده السعودية بعد أحداث أيلول في العواصم الغربية، إضافة إلى الاتجاه الروسي نحو الخصخصة مع وجود أسواق كبيرة للتصريف في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، والحاجة إلى تجديد وإعادة أعمار الكثير من المرافق الأساسية، إضافة إلى أن روسيا التي لم تحصل على عائدات النفط الخليجي لفترة طويلة، تبدو أكثر رغبة في الحصول على نصيب ما ولو متأخر[٢٤].

وانطلاقا من المصلحة المشتركة بين المملكة العربية السعودية وروسيا، وخلال الزيارة التي قام بها الأمير عبدالله إلى روسيا عام ٢٠٠٣، عرض توظيف (٢٠٠) مليار دولار سعودي في الاقتصاد الروسي، هذا العرض أعطى الروس الضوء الأخضر في العمل على إقامة مشاريع مشتركة بين الجانبين، وانطلاقا من هذا المبدأ بدأت جهود رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسي يفجيني بريماكوف لإرساء أسس تعاون اقتصادي جديد بين الجانبين، فشكل مجلس الأعمال العربي الروسي، وعقد المجلس أولى

جلساته في موسكو من نفس العام، وتحت هذا المجلس وقعت شركة لوك أويل النفطية الروسية في عام ٢٠٠٤ مع السعودية عقدا للتنقيب عن الغاز في حقل (أ) في الربع الخالي ومدته ٤٠ عاما[٢٥]. كما وقع الطرفان خلال الزيارة على اتفاقية للتعاون في المجال النفطي مدتها (٥) سنوات، ويقدر حجم الاتفاقية بـ (٢٥ مليون دولار) تهدف إلى تنفيذ مشاريع مشتركة من شانها ضمان استقرار أسعار النفط، وتعد هذه الاتفاقية مهمة جدا بسبب احتلال البلدين المركزين الأولين في قائمة البلدان المصدرة للنفط في العالم، وفتحت الاتفاقية المجال أمام شركات الطاقة الروسية العملاقة مثل شركة غاز بروم للدخول في شراكة استثمارية مع المملكة العربية السعودية[٢٦].

وفي مجال التعاون الاقتصادي بين روسيا ودول الخليج العربي، عقد أول مؤتمر في جدة في عام ٢٠٠٣ بمشاركة رجال أعمال من بلدان مجلس التعاون الخليجي وروسيا، وتطرق المؤتمر إلى توسيع العلاقات التجارية والاستثمار الصناعة الأساسية مثل البتروكيمياويات وتكرير النفط والغاز والمعادن والأغذية والأدوية والكهرباء والماء، وقد وصف عبد الرحمن العطية الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي هذا المؤتمر ببداية الانطلاقة نحو شراكة اقتصادية شاملة مع روسيا على المدى الطويل[٢٧]. كما أن تنامي التعاون الاقتصادي مع روسيا يمكن أن يحدث توازنا في العلاقات الاقتصادية مع البلدان الغربية الأخرى، ويفتح الباب أمام الأنشطة الاقتصادية السعودية في المناطق المسلمة في روسيا، ومن جهة أخرى ستدفع عملية إقامة روابط قوية مع السعودية إلى تحسين وضع روسيا في المنطقة[٢٨].

وخلال الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الروسي سيرجى لافروف إلى السعودية في أيار ٢٠٠٦ ومن خلال المباحثات التي أجراها مع الجانب السعودي، تطرق إلى سبل تعزيز العلاقة بين الجانبين عن طريق جذب الاستثمارات إلى الاقتصاد الروسي من خلال الجمع بين التكنولوجيا

الروسية والموارد المالية لبلدان الخليج العربي لتنفيذ مشاريع مشتركة، مشيرا إلى أن هنالك العديد من مشاريع التعاون، كما أشاد بتأييد الملك السعودي لإنشاء البيت العربي الروسي، كما بحث الجانبان العديد من الجوانب الثقافية والتعليمية والإنسانية ملمحا إلى أن روسيا قدمت للمملكة هذا العام (١٥) منحة دراسية وهي ماضية على تقديم المنح الدراسية، كما ويوجد في المملكة عدد من الطلاب الروس، وأثنى لافرف خلال الزيارة على جهود المملكة في دفع العلاقة إلى أمام من خلال ما توليه من اهتمام للزوار الروس وفي مقدمتها تقديم المساعدات للحجاج المسلمين الروس كل عام[٢٩].

كما أن زيارة الرئيس الروسي إلى السعودية في ١١ شباط ٢٠٠٧ تعد نقطة تحول كبيرة في مسار العلاقة بين الجانبين، إذ فتحت هذه الزيارة أفاقا جديدة للتعاون وتم التوقيع خلالها على العديد من الاتفاقيات من ضمنها اتفاقية تجنب الازدواج الضريبي بشان الضرائب على الدخل وعلى رأس المال، ولمنع التهرب الضريبي، كما أبرمت مذكرة تفاهم للتعاون بين بنك الشؤون الاقتصادية الخارجية وبنك الصادرات والواردات في روسيا مع الصندوق السعودي للتنمية، وأبرمت مذكرة أخرى للتعاون في المجال الثقافي، وتم التوقيع على اتفاق في مجال النقل الجوي، وعد الرئيس الروسي خلال افتتاحه أعمال الملتقى الاقتصادي السعودي الروسي في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات في ١٢ شباط زيارته للمملكة خطوة مهمة في تطوير العلاقات بين الطرفين، وأكد أن اهتمام رجال الأعمال الروس بالسوق السعودية يزداد سنة بعد أخرى[٣٠]. وتشير الأرقام إلى قفزة نوعية في حجم التبادل التجاري بين البلدين، إذ ازداد حجم التبادل التجاري من ٣٣٢ مليون ريال (٨٧,٧٨ مليون دولار) في عام ١٩٩٩ إلى نحو ١٥٤٥ مليون ريال (٤٠٨,٥١ مليون دولار) عام ٢٠٠٥[٣١]. وقال بوتين آن روسيا والسعودية هما الدولتان القياديتان في مجال تصدير النفط، وان هنالك لغة تفاهم مشتركة

في هذا المجال، ودعا إلى تطوير التعاون بين البلدين ليشمل مجالات أخرى مثل المواصلات ووسائل النقل والتقنية، كما تم التوقيع على اتفاقية تنص على إطلاق ٦ أقمار اصطناعية سعودية الصنع للاتصالات والاستشعار، وقال بوتين "انه يرى إمكانية تعاون مع السعودية في مجال الطاقة النووية" بعدما آثرت دول مجلس التعاون الخليجي نهاية العام الماضي إنشاء برنامج نووي سلمي، وأكد الملك عبدالله "أن المملكة تمد يدها لمصادقة روسيا.... وتأمل الخير والوفاء من الأصدقاء"[٣٢].

هذه العبارات التي عبر عنها الجانبان خلال المؤتمر الذي عقداه على هامش زيارة الرئيس الروسي بوتين إلى السعودية تعكس مرحلة جديدة من مراحل التعاون بين الجانبين بعد فترة طويلة من الفتور الذي أصاب هذه العلاقة، وعلى ما يبدو فان الجانبان حريصان على استمرار العلاقة وتقويتها، فالسعودية بعد توتر علاقتها مع الولايات المتحدة بدأت تبحث عن شريك جديد يحل محل الولايات المتحدة في حالة إذا ما استمرت العلاقة بينهما بالتوتر، وتحديدا بعد الاتهامات التي وجهتها الولايات المتحدة للسعودية بعد أحداث ١١ أيلول وتردي العلاقة بينهما. وروسيا كانت تتحين الفرصة المناسبة لتضع قدمها في منطقة الخليج العربي، وجاءت المبادرة من السعودية لتكون الممر الذي ستمر منه روسيا إلى المنطقة إن صح التعبير.

الخاتمة

١- ما جرى في الولايات المتحدة في الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ انعكس بشكل كبير على السياسة الأمريكية الخارجية، إذ أنها التجأت إلى استخدام القوة العسكرية ضد الدول التي وضعتها على قائمة من أسمتهم أجهزة إعلامها بـ "الدول الراعية للإرهاب" كأفغانستان والعراق، وتعدى الأمر إلى إنها اتهمت اكبر حليف لها في المنطقة بدعمه للعمليات

التي استهدفتها، وبذلك توترت علاقتها مع المملكة العربية السعودية إلى حد ما.

٢- من الواضح أن الرفض السعودي لإقامة علاقة مع الاتحاد السوفيتي السابق كان سببه عدم رغبة الولايات المتحدة في إقامة هذه العلاقة، بسبب التأثير الكبير للولايات المتحدة على السعودية، إلا أن هذا التأثير تبدد بعد أحداث ١١ أيلول، ولم يعد للسعودية بد من إقامة علاقة مع روسيا خصوصا بعد زوال السبب الرافض لإقامة هذه العلاقة.

٣- تعتمد السياسة الخارجية لأي دولة في العالم في تعاملها مع الآخرين على المكاسب التي ستجنيها من هذا التعامل، فبمجرد أن توترت العلاقة بين الولايات المتحدة والسعودية لجأت الأخيرة إلى البحث عن شريك جديد يكون ثقله بثقل الحليف القديم، فوجدت ضالتها في روسيا،إذ شعرت السعودية أن المصلحة تستوجب إقامة علاقة مع روسيا، وعلى هذا الأساس استندت العلاقة بين المملكة العربية السعودية وروسيا.

٤- يمكن للعلاقة التي نشأت بين السعودية وروسيا أن يكون لها شان كبير، حيث أن الدولتين تتربعان على عرش تصدير النفط العالمي، وإذ ما توحدت السياسة النفطية لهاتين الدوليتين فأنهما ستتحكمان بالمصير السياسي للكثير من دول العالم بسبب ما يمثله النفط من أهمية في الصراعات السياسية.

٥- رد الفعل الذي ظهر بعد أحداث أيلول من الشعب السعودي تجاه الولايات المتحدة الأمريكية مثل نقطة انعطاف كبيرة، لان الشعب السعودي طالب حكومته بتغيير سياستها تجاه الولايات المتحدة والعمل على بناء علاقات جديدة مع روسيا.

٦- النقطة المهمة التي يجب الوقوف عندها هي أن التقارب الروسي السعودي لو قدر له أن يستمر ويتطور إلى عقد اتفاقيات عسكرية وإستراتيجية، فمن الجائز أن يعزل المطامح الإيرانية المتنامية التي باتت تدق ناقوس الخطر الذي يهدد منطقة الخليج العربي عن طريق

تطويقها وتحجيم دورها، على غرار الاتفاقيات التي كانت تعقدها الولايات المتحدة مع الدول المحيطة بالاتحاد السوفيتي السابق لغرض عزله عن الدول المحيطة به.

Saudi-Russian Relation After September 11 the Incidents 2001.

By : Mr. Bashar Fathi Jassim Al-okaydi

Assist lecturer, Regional Studies Center, Mosul University

Abstract

September11th in cidents 2001 affected the relation between Saudi Arabia and united state negatively after the accusation of U.S.A. to Saudi Arabia in supporting those who executed these events. most of them were holding the Saudi nationality. In the light of this, the relation was stressed between U.S. and Saudi. Thus، Saudi tried to look for a new partner and found Russia Suitable for that partner. Therefore, the relation between Saudi and Russia began to develop gradually although there were no any exchange or political cooperation between both states. The from of that relation began to expand including diplomatic representation, economic and oil agreements and other fields. the relation between both state reached its climax when the Russian president fladimair Butin made an official visit to Saudi Arabia in February 2007 and this visit represented political reproachment**.**

الهوامش والمصادر

(١) مصطفى عبدالقادر النجار، "العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي"، مجلة الخليج العربي، العدد ٢، (جامعة البصرة-١٩٧٥)، ص ١٠٠.
(٢) عاصم محمد عمران، "سياسة روسيا حيال الخليج العربي"، مجلة دراسات دولية، العدد ١٩، (بغداد -٢٠٠٣)، ص ٣.
(٣) غانم محمد صالح، "روسيا والخليج العربي"، مجموعة باحثين، العرب والقوى العظمى (العرب وروسيا)، (بغداد-١٩٩٨) ، ص٨٣.
(٤) العلاقات الروسية- السعودية عقود من التلاقي والفراق ، متاح على الموقع :
http://www.ceea.com/ar/details
(٥) المصدر نفسه.
(٦) عبدالرزاق خلف محمد الطائي، "الخليج العربي في الإستراتيجية الروسية المعاصرة "، بحث منجز محفوظ في أرشيف مركز الدراسات الإقليمية، (جامعة الموصل-٢٠٠٧)، ص ٢.
(*) مبادرة فاس للسلام: تبنى قادة الدول العربية خطة للسلام في مؤتمر القمة العربية المنعقد في مدينة فاس في المغرب في ٩ سبنمبر/أيلول ١٩٨٢ ، وأطلق عليها خطة فاس للسلام، وارتكزت المبادرة على مقترحات الأمير فهد عندما كان وليا للعهد والتي عرضها عام ١٩٨١، ونصت على حق دول المنطقة في العيش بسلام، ودعت الى انسحاب الكيان اليهودي من كل الراضي العربية التي احتلتها في عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الغربية وإزالة المستوطنات التي أقيمت في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وإنشاء دولة فلسطينية عاصمتها القدس، ولاقت هذه المقترحات ترحيبا كبيرا من منظمة التحرير الفلسطينية، ورفضت إسرائيل هذه المبادرة وأعلن شامير أنها بمثابة إعلان الحرب من جديد على إسرائيل. انظر : عيسى قدومي، قمة الرياض.... هل من جديد؟!، متاح على الموقع:
http://www.al-forqan.net/linkdesc.asp?
(٧) حسن العلكيم، "السياسة السوفيتية تجاه الخليج العربي في عهد غورباتشوف"، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢٥، (بيروت-١٩٨٩)، ص ١٣٢.
(٨) صالح ، مصدر سابق ، ص ٣٨.

(٩) أيلا أكيرمان، "العلاقات بين دول مجلس التعاون وروسيا"، مجموعة باحثين الخليج في ٢٠٠٣، إصدار مركز الخليج للأبحاث، (دبي-٢٠٠٤)، ص ٣٤٦.

(١٠) نصيف يوسف حقي، العرب والقوى الكبرى، المؤتمر القومي العربي السابع في حال الأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت-١٩٩٧)، ص ١٦٣.

(١١) أكيرمان ، مصدر سابق ، ص ٣٤٧.

(١٢) عاصم محمد عمران ، العلاقات الأمريكية-السعودية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ، بحث مقدم في المؤتمر السنوي السابع ١٧-٢٠٠٢/١٢/١٨ ، لمركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد ، أرشيف مركز الدراسات الإقليمية ، جامعة الموصل، ص ١.

(**) قاعدة الخرج : تقع قاعدة الأمير سلطان الجوية (الخرج) على بعد (٨٠) كم جنوب العاصمة الرياض، ويوجد فيها (٤٥٠٠) عسكري أمريكي وعدد غير معروف من الطائرات ومدرج بطول (١٥٠٠) فوت، وهي قاعدة كبيرة جدا. أطلق عليها الخرج خلال عمليات درع وعاصفة الصحراء. في عام ١٩٩٠ تم تطوير القاعدة وتحولت من قاعدة لا تحتوي على مباني سوى المدرجات وسلالم الطائرات إلى قاعدة توجد فيها حظائر للطائرات وخيم معدة للأكل ومستشفى ومولدات للطاقة الكهربائية وخدمات لموظفي القوة الجوية. انظر : قاعدة الخرج قاعدة الأمير سلطان الجوية ، متاح على الموقع :

http://www.alhramin.com/text/tarjama/70.htm

(١٣) عمران، مصدر سابق، ص ١.

(١٤) أكيرمان، مصدر سابق، ص ص ٣٤٧-٣٤٨.

(١٥) بلدان العالم العربي وروسيا اليوم، مملكة الإسلام بين الشرق والغرب، متاح على الموقع:

http://www.russarabc.ru: /arab/press.

(١٦) العلاقات الروسية- السعودية ، مصدر سابق.

(١٧) أكيرمان، مصدر سابق، ص ص ٣٤٨-٣٤٩.

(١٨) المصدر نفسه، ص ص ٣٥٠-٣٥١.

(١٩) صحيفة الرياض اليوم ، العدد ١٣٨٤٥، في ٢٠٠٦/٥/١٢ : متاح على الموقع:

http://www.Alriyad –np.com.

(٢٠) الطائي ، مصدر سابق ، ص ١٠.

(٢١) العلاقات الروسية-السعودية ، مصدر سابق.

(٢٢) الرئيس الروسي يرى فرص تعاون نووي سلمي وإطلاق ٦ أقمار سعودية... محادثات خادم الحرمين وبوتين تعمق الشراكة بين الرياض وموسكو ، متاح على الموقع :

http://www.darAlhayat.com.

(٢٣) محمد عبدالرحمن يونس العبيدي، العلاقات السعودية- الروسية في ضوء زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للمملكة العربية السعودية ، نشرة متابعات إقليمية ، السنة ٤، المجلد ٤ ، العدد٤، إصدار مركز الدراسات الإقليمية ، (جامعة الموصل- ٢٠٠٧).

(٢٤) العلاقات الروسية- السعودية، مصدر سابق.

(٢٥) العلاقات السعودية-الروسية من التنافس إلى التعاون ، متاح على الموقع :

http://www.alshaqalawsat.com/leadfr.asp.

(٢٦) أكيرمان، مصدر سابق، ص٣٥٠.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٣٥٢.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

(٢٩) تعزيز التعاون بين روسيا ودول مجلس التعاون، صحيفة الرياض اليوم، مصدر سابق.

(٣٠) الرئيس الروسي يرى فرص تعاون، مصدر سابق.

(٣١) خالد ابو بكر، بوتين في السعودية لكسر الحواجز وجني المكاسب، متاح على الموقع:

http://www.islamonline.net/servlet/satellite?

(٣٢) الرئيس الروسي يرى فرص، مصدر سابق.